العدد الثالث والعشرون
2006

مجلة كلية الدعوة الإسلامية

مجلة إسلامية - ثقافية - جامعة - محكمة تصدر سنويا

1374 من وفاة الرسول ﷺ الموافق لعام 2006 مسيحي

د. علي سعد الشتيوي
جامعة الجبل الغربي - كلية الآداب - يفرن

لمّا كان القرآن الكريم هو المصدر الأول للتشريع، أولاه المسلمون عناية بالغة حفظاً وفهماً لمعانيه، وهذا جعلهم يُحدِثُون فيه علوماً كثيرة، فمن ذلك علم القراءات الذي يعنى بضبط الكلمات، من حيث: النطق، والشكل، والنقط، ولقد كان عبد الله بن مسعود من الذين يعنون بضبط الرواية، والتحري في الأداء، وقد تلقى القرآن الكريم من رسول الله ﷺ بضعاً وسبعين سورة»[1].

كان لابن مسعود (ت32هـ) منزلةٌ علميةٌ رفيعةٌ، حيث أقبل عليه الكوفيون يأخذون عنه العلم، ومما زادهم احتفاءً به، وإقبالاً عليه، ما رأوه من تقدير الخلافة له، وإعظامها لشأنه، فقد كتب إليهم أمير المؤمنين عمر: «إني أبعث إليكم بعبد الله بن مسعود معلّماً ووزيراً، وآثرتكم به على نفسي فخذوا منه»[2].

(1) غاية النهاية 1/ 458.

وقال الشعبي: «ما دخل الكوفة أحد من الصحابة أنفع علماً ولا أفقه صاحباً من عبد الله»[3]. وكان محبّاً لتلاوة القرآن الكريم، ومن هنا لا نجد عجباً أو غرابةً من ثقةِ هذا الصحابي في علمه لكتاب الله، ممّا جعله يقول: «والذي لا إله غيره لو أعلم أحداً أعلم بكتاب الله منّي تبلغنيه الإبل لرحلت إليه»[4].

وقد كان لقراءته منزلةٌ عند رسول الله ﷺ وقد امتدحه قائلاً: «مَنْ سَرَّه أن يقرأ القرآن جديداً غضّاً، كما أُنزل فليسمعه من ابن مسعود»[5]، وقال بعض العلماء في معنى قوله (غضّاً كما أنزل)، أي أنّه كان يقرأ الحرف الأول الذي أنزل عليه القرآن، دون الحروف السبعة التي رُخّص لرسول الله ﷺ في قراءته عليها بعد معارضته جبريل ـ عليه السلام ـ القرآن إيّاه في كلّ رمضان»[6]. ويكفيه أن أربعاً من القراءات السبعة المعتمدة تنتهي إليه بسند صحيح، ذكر منهم ابن الجزري ثلاثة[7]، وهم: عاصم (ت 127هـ)، وحمزة (ت 156هـ)، والكسائي (ت 189هـ).

وترك أبا عمرو بن العلاء (ت 154هـ)، وقد علّل الدكتور عبد الصبور شاهين ذلك الترك بقوله: «وإنّما أغفل النصّ على أبي عمرو لمّا عُرف عن قراءاته من أنها مجموعة اختيارات مما انتهى إليه من روايات تلقّاها عن شيوخه الكثيرين»[8]. وأضاف ابن الجزري أيضاً انتهاء قراءة خلف والأعمش إليه، وهما من غير السبع. وتخرّج على يده، ويد تلاميذه، كثير من مشاهير أعلام القراءات

---

(2) سير أعلام النبلاء، 1/ 491.

(3) سير أعلام النبلاء، 1/ 494.

(4) غاية النهاية، 1/ 459، «أخرجه البخاري في (فضائل القرآن، باب: القراء من أصحاب النبي ﷺ من طريق عمر بن حفص، عن أبيه، عن الأعمش، عن مسلم أبي الضحى، عن مسروق، قال عبد الله، رضي الله عنه: «والله الذي لا إله غيره، ما أنزلت سورة من كتاب الله إلا أنا أعلم أين نزلت، ولا أنزلت آية من كتاب الله إلا أنا أعلم فيمن أنزلت، ولو أعلم أحداً مني بكتاب الله تبلغه الإبل لركبت إليه».

(5) ذكره صاحب كنز العمال رقم (33461).

(6) الجامع لأحكام القرآن الكريم 1/ 57.

(7) غاية النهاية، 1/ 459.

(8) تاريخ القرآن 132.

في الكوفة، من أمثال: زر بن حبيش، الذي عرض على ابن مسعود، وعثمان وعلي رضي الله عنهم[9]. وممن تتلمذ له أيضاً: عاصم ابن أبي النجود أحد القرّاء السبعة، وشيخ الإقراء بالكوفة في عهده، قال راويته حفص، قال لي عاصم: «ما كان من القراءة التي أقرأتك بها فهي القراءة التي قرأت بها على أبي عبد الرحمن السلمي عن علي ابن أبي طالب، وما كان من القراءة التي أقرأتها أبا بكر بن عياش فهي القراءة التي كنت أعرضها على زربن حبيش عن ابن مسعود»[10]. وكذلك حمزة بن حبيب الزيات (ت 156هـ) وهو أحد القرّاء السبع تنتهي قراءته إلى ابن مسعود، حيث ترك هؤلاء أثرهم في الفرّاء حتى سمّاهم (أصحاب عبد الله)[11].

وقد كان الفراء في كتابه (معاني القرآن) أكثر اعتداداً بقراءة ابن مسعود، وكلّما وجدنا قراءة لعبد الله في موطن القرآن وجدنا الفرّاء يحتجّ بها، إمّا لأنها تحمل توجيهاً نحوياً، وإما توجيهاً لغوياً، وأحياناً يقوي بها قراءة، وحيناً آخر يقابلها بقراءة أخرى مشهورة... إلخ. وفي ذلك: يقول الدكتور عبد الفتاح شلبي: هناك ظاهرة استرعت نظري، ذلك أني رأيته ـ يعني الفرّاء ـ يشير في كثرة إلى قراءة عبد الله، قياساً على غيره من القرّاء، كابن عباس، والحسن البصري، وحمزة الزيات... إلخ، وقد أرجع هذه الظاهرة عند الفرّاء إلى أسباب منها[12]: ذلك لأنه إليه تنتهي قراءة عاصم، وحمزة، والكسائي، وهؤلاء لهم مكانتهم وأثرهم في الفرّاء. لم يكن لأحد من أهل الكوفة أن يرغب عن قراءة ابن سعود، فقد كان قارئهم الأول. ذلك أن ابن مسعود الذي كان يحثّ غيره أن يجوّد القرآن، ويُحسّنه، ويدعو إلى إعرابه، وعن الضحّاك قال: قال عبد الله ابن مسعود: «جوّدوا القرآن، وزيّنوه بأحسن الأصوات، وأعربوه، فإنه عربي، والله يُحب أن يعرب به»[13].

---

(9) طبقات القراءة، 1/ 194.

(10) طبقات القراء، 1/ 458، حجة القراءات 59.

(11) انظر ـ مثلاً ـ معاني القرآن 1/ 95، 2/ 302، 3/ 55، 100، 71.

(12) انظر، أبو علي الفارسي حياته ومكانته/ 261، 262.

(13) الجامع لأحكام القرآن الكريم 1/ 23.

والذي يهمنا في هذا المقام هو رصد قراءة عبد الله بن مسعود التي تحمل توجيهاً نحوياً، إذ ظهرت أنماط نحوية مختلفة، وسأتناولها كما جاءت مرتبة في المصحف الشريف، الآيات:

● قوله تعالى: ﴿. . . ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَٰتٍ لَّا يُبْصِرُونَ*صُمٌّ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾[14].

وقراءة الرفع أقوى عند الفرّاء، بتمام الكلام، وانقضت به آية، ثمَّ استؤنفت الآية ﴿صُمٌّ بُكْمٌ عُمْىٌ﴾. بالرفع وهي قراءة الجمهور على إضمار مبتدأ تقديره: هم[15]، وقرأها عبد الله بن مسعود[16] ﴿صمّاً بكماَ عُمْياً﴾ قال الفراء: ونصبه على جهتين:

● إن شئت على معنى: «تركهم (صُمّاً بكماً عُمياً»، وإن شئت اكتفيت بأن توقع الترك عليهم في الظلمات، ثم تستأنف (صُمّاً) بالذّم لهم، «والعرب تنصب بالذم والمدح، لأن فيه مع الأسماء مثل معنى قولهم: وَيْلاً له، وثواباً له، وبُعداً، وسقياً، ورعياً. .

وهو ضعيف عند بعض المفسّرين قاله أبو حيان[17]، والوجه عنده «أن النصب على الذّم، إنما يكون حيث يذكر الاسم السابق، فتعدل عن المطابقة في الإعراب إلى القطع، وها هنا لم يتقدم اسم سابق تكون هذه الأوصاف موافقة له في الإعراب فتقطع، فمن أجل هذا ضعف النصب على الذّم»[18].

ويجوز النصب على الحال من الهاء والميم في (تركهم) عند الأنباري[19]، وأبي حيّان[20]، واشترط أبو حيّان في هذا الوجه «على أن تكون

(14) سورة البقرة، الآيتان: 18 ـ 19.
(15) البحر المحيط، 1/ 134.
(16) معاني القرآن، 1/ 16.
(17) البحر المحيط، 1/ 134.
(18) نفسه، 1/ 134.
(19) البيان في غريب إعراب القرآن، 1/ 60.
(20) البحر المحيط، 1/ 134.

لا تتعدى إلى مفعولين، أو تكون تعدّت إليهما وقد أخذتهما»[21].

وأجاز أبو حيّان أن يكون منصوباً على الحال من الضمير في (يبصرون)، وتوقف قائلاً «وفي ذلك نظر»[22]، ولم يفصِّل القول فيه، ولعلّه بنى كلامه على ما قاله العكبري، حيث عدّ قراءة النصب على الحال من الضمير في يبصرون قراءة شاذّة[23]، ولم يعلل هو الآخر.

واستحسن الأخفش[24] النصب، ولو كان على أول الكلام، ولم يذكر تخريجاً له، ووافق الزجّاج[25] الفرّاء في قوة الرفع من حيث المعنى، وأجزل من حيث اللفظ، وصرّح بأنه يجوز في الكلام: (صُمّاً بُكْماً عُمْياً) بالنصب[26].

● قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَـٰمُوسَىٰ لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَٰحِدٍ فَٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ مِنۢ بَقْلِهَا وَقِثَّآئِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا ۖ قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ ٱلَّذِى هُوَ أَدْنَىٰ بِٱلَّذِى هُوَ خَيْرٌ ۚ ٱهْبِطُوا۟ مِصْرًا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ ۗ﴾[27].

قرأها عبد الله بن مسعود[28]: اهبطو مصرَ ليس فيها ألف، أي ممنوعة من الصّرف، وفي صرفه أو منعه يقول الفراء[29]: . . . فإن شئت جعلت الألف التي في (مصرا) ألفاً يوقف عليها، فإذا وُصِلَتْ لم تُنَوَّن فيها، كما كتبوا ﴿سَلَـٰسِلَا۠﴾[30] و﴿قَوَارِيرَا۠﴾[31] بالألف، وإن شئت جعلت (مصرَ) غير المِصْر التي تعرف، يريد (اهبطوا مصراً من الأمصار). وذهب الفرّاء إلى أن الوجه الأول أحبُّ إليه، لأنها قراءة عبد الله. وتصديق ذلك ـ عنده ـ أنها في سورة يوسف

---

(21) نفسه، 1/ 134.
(22) نفسه، 1/ 134.
(23) التبيان في إعراب القرآن 1/ 34.
(24) معاني القرآن 1/ 209.
(25) معاني القرآن، 1/ 94.
(26) نفسه 1/ 94.
(27) سورة البقرة، الآية 61.
(28) معاني القرآن، (الفراء) 1/ 42.
(29) نفسه، 1/ 43.
(30) سورة الإنسان، الآية 4.
(31) سورة الإنسان، الآية 15.

بغير ألف: ﴿ٱدۡخُلُواْ مِصۡرَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ﴾[32]، حيث قاسها على قراءةٍ ليس فيه خلاف.

وفي قراءة الجمهور صرف (مصر) هنا، لأنه يعني مصراً من الأمصار غير معيّن واستدلوا بالأمر بدخول القرية، وبأنهم سكنوا الشام بعد التيه، وبأنَّ ما سألوه من البقل وغيره، لا يكون إلا في الأمصار»[33].

يقول أبو حيّان: «وأجاز من وقفنا على كلامه من المعربين والمفسرين أن تكون (مصر) هذه المنونة هي الاسم العلم.... قالوا وصرف، وإن كان فيه العلمية والتأنيث، كما صرف (هِنْد) و(دَعْد) لمعادلة أحد السببين، لخفة الاسم لسكون وسطه، قال الأخفش، أو صرف؛ لأنه ذهب باللفظ مذهب المكان، فذكره فبقي فيه سبب واحد فانصرف»[34]، ويذهب الزمخشري إلى أن سبب صرفه مع اجتماع السببين فيه، «وهما: «التعريف والتأنيث لسكون وسطه كقوله: ﴿ونوحاً ولوطاً﴾، وفيهما العُجْمَة والتّعريف، وإن أريد به البلد فما فيه إلا سبب واحد، وإن مصراً من الأمصار»[35]. فقد شبهه الزمخشري في منع الصّرف، وهو علم بـ(نوح) و(لوط)، لأنهم صرفا، وإن كان فيهما سببان للمنع: العلمية والعجمة، ويرجع السبب في ذلك: لخفة الاسم، وهو اسم ثلاثي ساكن الوسط، وقد ردّ أبو حيّان قول الزمخشري، «لأن مصر اجتمع فيه ثلاثة أسباب وهي: التأنيث والعلمية والعجمة فهو يتحتم منع صرفه بخلاف هند، فإنه ليس فيه سوى العلمية والتأنيث...»[36]. وقد أوردها سيبويه في كتابه بدون تنوين نقلاً عن بعض المفسّرين قال: إنّما أراد مصر بعينها، «وعنده أن الاسم الذي على ثلاثة أحرف أعجمياً لم ينصرف، وإن كان خفيفاً»[37].

---

(32) سورة يوسف، الآية 99.

(33) البحر المحيط، 1/ 378، وانظر: إعراب القراءات الشاذّة 1/ 87.

(34) نفسه، 1/ 379.

(35) الكشاف، 1/ 285.

(36) البحر المحيط، 1/ 379.

(37) الكتاب، 3/ 242.

● قوله تعالى: ﴿. . . وَلَا تُسْـَٔلُ عَنْ أَصْحَٰبِ ٱلْجَحِيمِ﴾[38].

عدد الفراء لقراءة (تسأل) أوجهاً[39]: فقرأها ابن عبّاس. . جزماً، وكذلك بعض أهل المدينة، والقرّاء: رفعها على الخبر: لست تسألُ، وفي قراءة أبي «وما تسألُ» وفي قراءة عبد الله: ﴿ولن تُسأل﴾.

وقراءة الجمهور «تُسْأَلُ»[40] بضم التاء واللام، واحتجّ الفرّاء بقراءة عبد الله لقراءة الرفع في: «ولا تُسأَلُ»، على أن (لا) نافية لأن (لن) نافية أيضاً»[41]، وقراءة عبد الله بن مسعود يتعيّن فيها الاستئناف، «والمعنى أنك لا تسأل عن الكفّار مالهم لم يؤمنوا. . فكأنه قيل: لست مسؤولاً عنهم، فلا يحزنك كفرهم»[42].

● قوله تعالى: ﴿. . . قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[43].

وفي قراءة ابن مسعود[44]: ﴿. . . لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾، والجمهور[45]: «علإ نصب الظالمين مفعولاً، و(عهدي) فاعل، أي: لا يصلُ عهدي إلى الظالمين فيدركهم، وتوجيه قراءة عبد الله تقديم المفعول به، وهو (عهدي) على الفاعل، وهو (الظالمون)، أي: «من كان ظالماً من «ذريتك لا يناله استخلافي، وإنما ينال من كان عادلاً بريئاً من الظلم»[46]، والقراءتان ظاهرتان عند السمين الحلبي إذ الفعل يصحُّ نسبته إلى كلٍّ منهما، فإنَّ مَنْ ناله فقد نلته»[47].

وقد يجوز في العربية أن يقال: «لا ينال عهدي الظالمون، لأن ما نالك

---

(38) سورة البقرة، الآية 119.
(39) معاني القرآن، 1/ 75.
(40) البحر المحيط، 1/ 588.
(41) نحو القراء الكوفيين 39.
(42) البحر المحيط، 1/ 589، وينظر ـ الدر المصون 2/ 93.
(43) سورة البقرة، الآية 124.
(44) معاني القرآن 76، وكذلك: قتادة والأعمش / (الدر المصون) 2/ 103.
(45) الدر المصون، 2/ 103.
(46) الكشاف، 1/ 309.
(47) الدر المصون، 2/ 104.

فقد نلته»[48]، وهذا الجواز يفهم أيضاً من كلام الفراء، حيث استدل على جواز قراءة[49] الرفع بقوله: لأن ما نالك فقد نلته، كما تقول: نلت خيرك، ونالني خيرك.

● قوله تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ...﴾[50] قوله (قتال) بالكسر وهي قراءة الجمهور[51] وهو بدل من الشهر، وفي قراءة عبد الله بن مسعود[52]: ﴿عن قتالٍ فيه﴾ بإظهار عن، وهكذا هو في مصحف عبد الله[53]، وقال الفراء[54]: «خفضهُ على نية (عن مضمرة)»، وقال الكسائي هو مخفوض على التكرير[55]، أي على البدل يريد أن التقدير: عن قتالٍ فيه، وضعفه العكبري[56]؛ لأن حرف الجر لا يبقي عمله بعد حذفه في الاختيار. وقد فسّر السمين الحلبي قولَ الكسائي، بقوله: «إن أراد في غير البدل فمُسلَّم، وإن أراد في البدل فممنوع، وهذا الذي عناه الكسائي»[57].

وفي نظر صاحب الدرِّ المصون أنه لا ينبغي أن يُعَدَّ هذا خلافاً بين البصريين والكسائي والفرّاء، لأنَّ البدل عند جمهور البصريين على نيَّة تكرار العامل ـ والعامل هنا عن ـ وهذا بعينِهِ قول الكسائي.

● قوله تعالى: ﴿إِلَّآ أَن يَخَافَآ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ...﴾[58].

وفي قراءة[59] عبد الله: ﴿إلا أن تخافوا...﴾ وقرأهما حمزة على هذا

---

(48) مجمع البيان، 1/ 456.
(49) معاني القرآن 1/ 76.
(50) سورة البقرة، الآية 217.
(51) البحر المحيط، 2/ 383.
(52) معاني القرآن، 1/ 141، وانظر المصاحف 58، وهي قراءة ابن عباس والأعمش.
(53) كتاب المصاحف ص58.
(54) معاني القرآن، 1/ 141.
(55) إعراب القرآن، (النحاس) 1/ 307.
(56) التبيان في إعراب القرآن، 1/ 174.
(57) الدر المصون. 2/ 389.
(58) الدر المصون 2/ 104.
(59) سورة البقرة، الآية 229.

المعنى «إلا أنْ يخافا»، بضم الياء، وقراءة حمزة هذه لم تعجب الفراء[60] وقال معلقاً: «وأما ما قاله حمزة.. إن كان أراد قراءة عبد الله فلم يصبه ـ والله أعلم ـ، لأن الخوف إنما وقع على (أن) وحدها، إذ قال: ألا يخافوا أن لا، وحمزة قد أوقع الخوف على الرجل والمرأة، وعلى أن، ألا ترى أن اسمهما في الخوف مرفوع بما لم يسمَّ فاعله، فلو أراد أن ألاّ يخافا على هذا، أو يُخافا بذا، أو من ذا، فيكون على غير اعتبار قول عبد الله كان جائزاً، كما تقول للرجل: تُخاف لأنك خبيث، وبأنك، وعلى أنك»[61].

● قال تعالى: ﴿حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلۡوُسۡطَىٰ . . .﴾[62].

قرأها عبد الله ﴿وعلى الصلاة الوسطى﴾[63]، يقول الفراء: «فلذلك آثرتْ القراء الخفض، ولو نُصِب على الحثّ عليها بفعل مضمر لكان وجهاً حسناً، وهو كقولك في الكلام: عليك بقرابتك والأُمّ فخصَّها بالبِرِّ.

ويرى أبو جعفر النحاس[64] أن قراءة ابن مسعود جاءت على التفسير، لأنها زيادة في المصحف، في حين يرى أبو حيان[65] أنه قراءة على إعادة الجار على سبيل التوكيد، وهذا يبدو أنه أقرب للصواب، وحاشا لابن مسعود خلط القرآن بالتفسير الذي عُرِف عنه التحري في الأداء، والتشدُّدُ في ضبط الألفاظ، والمأثور عنه أنه قال: «جرّدوا القرآن، ولا تلبسوا به ما ليس منه»[66].

● قوله تعالى: ﴿وَإِن كَانَ ذُو عُسۡرَةٖ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيۡسَرَةٖۚ وَأَن تَصَدَّقُواْ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴾[67].

---

(60) معاني القرآن، 1/ 145.

(61) معاني القرآن، 1/ 146.

(62) سورة البقرة، الآية 238.

(63) نفسه، 1/ 156.

(64) إعراب القرآن، 2/ 321.

(65) البحر المحيط، 2/ 547.

(66) النشر في القراءات العشر 1/ 32.

(67) سورة البقرة، الآية 280.

وفي قراءة[68] عبد الله: ﴿وإن كان ذا عسرة..﴾، وهما قراءتان جائزتان عند الفرّاء، وتوجيه قراءة النصب عنده علة أن تكون (كان) أضمر فيها اسمها[69]، فهو عنده كقول عمرو بن شأس[70]:

فلِلَّهِ قَوْمي أيُّ قومٍ لُحَّرة إذ كان يوماً ذا كواكب أشنعا

وقول الآخر:

أعينيَّ هلاّ تبكيان عِفافا إذا كان طعناً بينهم وعِنَاقا

حيث أضمر في كان اسمها.

والنصب في الآية يختص بأهل الربا، أما الرفع فهو عام في جميع من عليه دين[71]، وهذا ليس بلازم عند أبي حيان[72]، لأن الآية إنما سبقت في أهل الربا، وفيهم نزلت، وردَّ السمين الحلبي جواب أبي حيان وعدّه جواباً لا يجدي، لأنه يرى: «وإن كان السياق كذا فالحكم ليس خاصاً بهم»[73].

وحجة من رفع عدّ كان فعلاً تامّاً بمعنى: (وقع، أو حدث)، وهذه لا تحتاج إلى خبر، بمنزلَةِ (وإن كان ذو عسرةٍ)، وهو عام في كل معسر[74]، أما النصب على خبرٍ كان فيصير الكلام مخصوصاً، والتقدير: وإن كان المشتري أو المداين ذا عسرة فنظرة..

فتكون النظرة مقصورة، ويجوز أن يكون التقدير: وإن كان المداين ذا عسرة فيكون عاماً فيمن عليه دين وهو معسر[75].

---

(68) معاني القرآن 1/ 186، وهي كذلك قراءة أُبي، وعثمان، وابن عباس/ البحر المحيط، 2/ 716.
(69) معاني القرآن، 1/ 186.
(70) نفسه، 1/ 186.
(71) البحر المحيط، 2/ 717.
(72) نفسه، 2/ 717.
(73) الدر المصون 2/ 645.
(74) الكشف 1/ 322.
(75) سورة آل عمران، الآيتان: 18 ـ 19.

● قوله تعالى: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ قَآئِمَۢا بِٱلْقِسْطِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُۗ . . .﴾[76]. فتح القراء[77] الألف من (أنه)، ومن قوله: «أنَّ الدين عند الله الإسلام»، وقراءة الجمهور[78]: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُۗ﴾ بكسر الهمزة، وكان الكسائي[79] يفتحهما كلتيهما، وهي في قراءة عبد الله[80] (إن الديِّن . .) بالكسر.

ووجه قراءة الكسائي[81] أنّه جعل الكلام متصلاً بما قبله، فأبدل (أن) مما قبلها، فيجوز أن يكون بدلاً من (أن) في قوله: (شهد الله أنه)، والتقدير: شهد الله أن الدين عنده الإسلام، فيكون البدل من الضَّرْب الذي الشيء فيه هو هو، ألا ترى أن الدين الذي هو الإسلام يتضمن التوحيد والعدل وهُوَ وهُوَ في المعنى.

وتوجيه قراءة الكسر: أنه على الابتداء والاستئناف، لأن الكلام قد تمَّ عند قوله: (الحكيم)، ثم استئناف بخبر آخر فكسر (إنَّ)، ويبدو أن هذا الوجه هو الراجح والمختار، لتمام الكلام الذي قبله، ولأنه أبلغ في التأكيد[82]، ولعلَّ هذا ما جعل النحاس يعبّر عن المسألة بقوله «وهذا بكسر إنَّ لا غير»[83].

وقوله تعالى: ﴿. . لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ قَآئِمَۢا بِٱلْقِسْطِۚ . . .﴾، وهي في قراءة عبد الله: ﴿. . القائم بالقسط﴾، وتوجيه قراءة الرفع عند الفرّاء[84]: لأن (القائم) معرفة جاء نعتاً لمعرفة الأصل: (شهد الله القائم

(76) الكشف 1/ 322.
(77) معاني القرآن 1/ 190.
(78) البحر المحيط، 3/ 67.
(79) معاني القرآن للفراء، 1/ 200.
(80) نفسه، 1/ 200.
(81) الكشف عن وجوه القراءات 1/ 338، وانظر، الحجة (لابي علي الفارسي) 3/ 22.
(82) نفسه، 1/ 338.
(83) إعراب القرآن، (للنحاسي)، 1/ 362.
(84) معاني القرآن 1/ 200.

بالقسط)، إلا أنه عندما نكر امتنع اتباعه فقطع إلى النصب، وهو ما ذهب إليه الفرّاء.

وجوّز الزمخشري أن يكون بدلاً من هو، أو هو خبر لمبتدأ محذوف[85]، واتفق أبو حيّان[86] مع الزمخشري في كونه خبراً. وردَّ أبو حيان أن يكون بدلاً، لأن فيه فصلاً بين البدل والمبدل منه بأجنبي، وهما المعطوفان، لأنهما معمولان لغير العامل في المبدل منه، ولو كان العامل في المعطوف هو العامل في المبدل منه لم يجز ذلك أيضاً: لأنه إذا اجتمع العطف والبدل قدم البدل على العطف، لا يجوز أن تقول: جاء زيد وعائشة أخوك، إنما الكلام: جاء زيد أخوك وعائشة.

● قوله تعالى: ﴿لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَرِثُوا۟ ٱلنِّسَآءَ كَرْهًا ۖ وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ﴾[87].

عند الفرّاء: (تعضلهن) في موضع نصب بأن، كما هي في قراءة[88] عبد الله: ﴿ولا أن تعضلوهن﴾ وقال: لو كانت جزماً على النهي، كان صواباً، ويجوز في (ولا تعضلوهن) أن يكون نصباً بكونه معطوفاً على ترثوا، وتقديره: لا يحل لكم أن ترثوا، ولا أن تعضلوا..

● قوله تعالى: ﴿أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّنَ ٱلْمُلْكِ فَإِذًا لَّا يُؤْتُونَ ٱلنَّاسَ نَقِيرًا﴾[89].

وهي في قراءة عبد الله بن مسعود[90] منصوبة ﴿...فَإِذًا لَّا يُؤْتُونَ ٱلنَّاسَ نَقِيرًا﴾، وتوجيه قراءة ابن مسعود يحذف النون على إعمال إذاً، وهي ملغاة في قراءة العامة[91].

ترتبط هذه المسألة بإعمال (إذاً) وإهمالها باعتداده حرفاً ينصب الفعل

---

(85) الكشاف، 1/ 417.
(86) البحر المحيط، 3/ 64.
(87) سورة النساء، الآية 19.
(88) معاني القرآن، 1/ 259.
(89) سورة النساء، الآية 53.
(90) نفسه، 1/ 259.
(91) معاني القرآن، 1/ 273.

المضارع بشروط، ولها ثلاثُ أحوال: أن تتقدم، وأن تتوسط، وأن تتأخر، وإذا تقدهما حرف عطف ففيها وجهان[92]: الإلغاءُ والإعمال، يقول الفرّاء: «فإذا كان فيها فاء، أو واو، أو ثمَّ، أو (أو) حرف من حروف النسق، فإن شئت كان معناها معنى الاستئناف، فنصبت بها أيضاً، وإن شئت جعلت الفاء أو الواو إذا كانتا منها منقولتين عنها إلى غيرها، والمعنى في قوله: (وإذاً لا يؤتون) على (فلا يؤتون الناس نقيراً إذاً)[93].

وخصَّ سيبويه بالذكر حرفي الفاء والواو من حروف العطف، يقول: «واعلم أنَّ إذن إذا كانت بين الفاء والواو، وبين الفعل، فإنك فيها بالخيار: إن شئت أعملتها كإعمالك أرى وحسبت إذا كانت واحدة منهما بين اسمين، . . . وإن شئت ألغيت (إذن) كإلغائك (حسبت) إذا قلت: زيد حسبت أخوك. .»[94].

وردّ العكبري عدم العمل هنا من أجل حرف العطف وهي الفاء، وأجاز في غير القرآن أن يعمل مع الفاء، ويذهب إلى القول بأنه: «ليس المبطل لعمله (لا)، لأن (لا) يتخطّاها العامل»[95].

وقيل: إن العمل هنا مراعاةً للاعتماد عليها، وعدمه بالرفع فيما بعدها اعتماداً على حرف العطف، وهي متوسطة كما بين القسم والجواب[96]، وقيل[97]: بتعيين النصب، لأن ما بعدها مستأنف، وهو الوجه الذي خرّج عليه الفرّاء قراءة ابن مسعود.

● قوله تعالى: ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعۡضَهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ وَبِمَآ أَنفَقُواْ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡۚ فَٱلصَّٰلِحَٰتُ قَٰنِتَٰتٌ حَٰفِظَٰتٞ لِّلۡغَيۡبِ﴾[98].

(92) التوطئة، 146.
(93) معاني القرآن، 1/ 273.
(94) الكتاب، 1/ 411.
(95) التبيان، 1/ 365.
(96) رصف المباني، 67.
(97) المغني، 17.
(98) سورة النساء، الآية 34.

قال الفرّاء: وفي قراءة[99] عبد الله ﴿فالصوالح قوانت﴾ ورأى صحة فواعل، وفاعلات في جمع فاعلة، وذهب ابن جني إلى أن: «التكسير هنا أشبه لفظاً بالمعنى، وذلك أنه إنما يراد معنى الكثرة»[100]، والحجة في ذلك أيضاً: «أن جمع التكسير يدل على الكثرة، والألف والتاء موضوعتان للقلة، فهما على حدِّ التثنية بمنزلة المزيدين من الواحد فيكون من الثلاث إلى العشرة، والكثرة أليق بهذا الموضع»[101]، وجاء أيضاً على معنى الكثرة قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ . .﴾، ولاحظ ابن جنّي أن: الغرض في جميعه الكثرة، لا ما هو لما بين الثلاثة إلى العشرة»[102].

● قوله تعالى: ﴿لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ . . .﴾[103].

قرأ ابن كثير أبو عمرو، وعاصم «لقد تقطع بينكُم . .» رفعاً[104].

وقرأ نافع والكسائي: ﴿لقد تقطّع بينَكم . . .﴾ نصباً[105]، وروى حفص عن عاصم: (بينَكم) نصباً. وفي قراءة عبد الله[106] «لقد تقطّع ما بينكم . .»، وفي توجيه قراءته قال الفرّاء: «هو وجه الكلام، إذ جعل الفعل لبين، فترك نصباً، كما قالوا: أتاني دونك من الرجال فترك نصباً وهو في موضع رفع . .»[107]، وحجة من قرأ (بينكُم) بالرفع على ضربين[108]: أحدهما: أن يكون اسماً متصرفاً كالافتراق.

---

(99) معاني القرآن، 1/ 265، ونسبها ابن جني لطلحة، (المحتسب، 1/ 187).
(100) المحتسب، 1/ 187، وانظر التبيان في إعراب القرآن 1/ 354.
(101) مجمع البيان، 2/ 92.
(102) المحتسب، 1/ 187.
(103) سورة الأنعام، الآية 95.
(104) السبعة، 264.
(105) نفسه، 263.
(106) معاني القرآن، 1/ 345.
(107) نفسه، 1/ 345.
(108) الحجة (الفارسي) 3/ 522.

والآخر: أن يكون ظرفاً، على أنه اتسع في الظرف، وأسند الفعل إليه فصار اسماً، كما استعملوهُ اسماً في قوله تعالى: ﴿وَمِنۢ بَيۡنِنَا وَبَيۡنِكَ حِجَابٞ﴾[109]، و﴿هَٰذَا فِرَاقُ بَيۡنِي وَبَيۡنِكَۚ﴾[110]، وتوجيه قراءة النصب عند العكبري وجوهاً، منها[111]:

أحدها: هو ظرف لتقطَّع، والفاعل مضمر، أي: تقطَّع الوصل بينكم.

والثاني: هو وصفٌ لمحذوف، أي: لقد تقطّع شيء بينكم، أو وَصْلٌ.

والثالث: أو أنه في موضع رفع، وهو معرب، وجاز ذلك حملاً على أكثر أحوال الظرف، ونسبه للأخفش.

● قوله تعالى: ﴿وَقَالُواْ مَا فِي بُطُونِ هَٰذِهِ ٱلۡأَنۡعَٰمِ خَالِصَةٞ لِّذُكُورِنَا﴾[112].

قرأ عبد الله[113] (خالص لذكورنا)، وعلة التاء عند الفرّاء: لتأنيثِ الأنعام، لأن ما في بطونها مثلها فأنثت لتأنيثها، ومن ذكّر فلتذكير ما»[114]، وقيل: إن تأنيث (خالصة) جاء على المعنى، لأن ما في البطون أنعام، وفي قول آخر «التأنيث هنا على المبالغة كعلاّمة ونسّابة»[115]، وهي هاء تزاد للتكثير والمبالغة في الوصف.

● قوله تعالى: ﴿حَقِيقٌ عَلَىٰٓ أَن لَّآ أَقُولَ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّۚ﴾[116].

في قراءة عبد الله[117]: ﴿حقيقٌ بأن لا أقول على الله..﴾، والتمس الفراء

---

(109) سورة فصلت، الآية 5.
(110) سورة الكهف، الآية 78.
(111) التبيان في إعراب القرآن، 1/ 522.
(112) سورة الأنعام، الآية 139.
(113) معاني القرآن، 358.
(114) نفسه، 1/ 358.
(115) التبيان في إعراب القرآن، 1/ 542.
(116) سورة الأعراف، الآية 105.
(117) معاني القرآن، 1/ 386.

لقراءة عبد الله وجهاً من كلام العرب يقول: «والعرب تجعل الباء في موضع على، رميت على القوس، وبالقوس، وجئت على حال حسنةٍ، وبحالٍ حسنةٍ»[118]، وبهذا الوجه قال أبو الحسن الأخفش[119]، واستدل على ذلك بقوله: ﴿بِكُلِّ صِرَٰطٍ تُوعِدُونَ﴾[120] في معنى على صراطٍ توعدون»، وهو ما يذهب إليه أبو علي الفارسي[121] يقول: «فكما وقعت الباء في قوله: (بكل صراط توعدون) موقع على كذلك وقعت على موقع الباء في قوله: (حقيق على أن...)؛ لأن حقيق على معناها الباء، ونصَّ على أن ذلك غير مقيس»[122]، لأنك لو قلت: ذهبتُ على زيدٍ وأنت تريدُ بزيدٍ، لم يجز.

● قوله تعالى: ﴿ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلْعَٰبِدُونَ ٱلْحَٰمِدُونَ ٱلسَّٰٓئِحُونَ ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّٰجِدُونَ ٱلْءَامِرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱلْحَٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾[123].

وهي في قراءة عبد الله[124]: ﴿التائبين العابدين.....﴾.

وقد استحسن الفراء قراءة[125] الرفع للاستئناف، ولتمام الآية قبلها، وانقطاع الكلام، وأجاز في قراءة عبد الله وجهين[126]: إما أن يكون في موضع خفض للمؤمنين، والتقدير: اشترى من المؤمنين التائبين، وإما أن يكون: (التائبين..) في موضع نصب على المدح، فكأنه قال: أعني وأمدح (التائبين العابدين..).

ومما يقوي توجيه قراءة النصب على المدح مجيء نظيرها في الذكر

---

(118) نفسه، 1/ 386.

(119) معاني القرآن، 2/ 529.

(120) سورة الأعراف، الآية 86.

(121) الحجة، 4/ 27.

(122) نفسه، 4/ 57.

(123) سورة التوبة، الآية 112.

(124) معاني القرآن، 1/ 453.

(125) نفسه، 1/ 453.

(126) نفسه، 1/ 453، وانظر المحتسب 1/ 305، وإعراب القرآن، (النحاس) 2/ 238، والتبيان 2/ 634.

الحكيم، منه قوله تعالى: ﴿وَٱلصَّٰبِرِينَ فِي ٱلْبَأْسَآءِ﴾[127] بعد قوله: ﴿وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُواْ﴾[128] ومثله (والمقيمين الصلاة)، وبعده: (والمؤتون الزكاة) حيث ذهب سيبويه إلى أن (المقيمين منصوب على المدح[129]، وقال: ونظير هذا النصب من الشعر قول الخرنق[130].

لا يَبْعَدَنْ قومي الذين هُمُ سُمُّ العُداة وآفةُ الجزرِ
النازلين بكلّ مُعتركٍ والطيبون معاقدَ الأزْرِ

فيذهب سيبويه إلى رفع الطيبين كرفع (المؤتين)، ونُقل[131] عن يونس بن حبيب أن من العرب من يقول: «النازلون بكل معتركٍ والطيبين»[132]، وهذا عند سيبويه مثل: (والصابرين). كما نقل[133] عن بعض العرب من يقول: الظاعنون والقائلين، فنصبُه كنصب (الطيبين)؛ إلا أن هذا شتم وذمّ، كما أن الطيبين مدح لهم وتعظيم.

● قوله تعالى: ﴿قَالَتْ يَٰوَيْلَتَىٰٓ ءَأَلِدُ وَأَنَا۠ عَجُوزٌ وَهَٰذَا بَعْلِي شَيْخًا إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ﴾[134].

وفي قراءة عبد الله[135] (شيخٌ) بالرفع وتوجيه الخلاف يطول هنا، وهي من الشواهد التي أوردها سيبويه في باب: (ما يجوز فيه الرفع مما ينتصب في المعرفة)[136]، نحو: هذا عبد الله منطلقٌ، حدثه بذلك يونس وأبو الخطاب عمّن

---

(127) سورة البقرة، الآية 177.
(128) سورة البقرة، الآية 177.
(129) الكتاب، 2/ 63.
(130) نفسه، 2/ 64، وهو من شواهد الفراء في معانيه 2/ 453 (برواية.. والطيبين).
(131) نفسه، 2/ 65.
(132) يعني، رواية الطيبين.
(133) الكتاب، 2/ 65.
(134) معاني القرآن، 2/ 23.
(135) الكتاب، 2/ 83.
(136) نفسه، 2/ 83.

يوثقُ بعربيّتِهِ ونقل عن الخليل أنَّ الرفع يكون على وجهين: الأول: حين تقول: هذا عبد الله أضمرت هذا أو هو، كأنك قلت: هذا منطلِقٌ، أو هو منطلق، وهو وجه صالح عند المبرد[137]، فكأنه استغنى بالابتداء والخبر فجعل ما بعده خبر ابتداء محذوف. والوجه الآخر: أن تجعلهما جميعاً خبراً لهذا، كقولك: هذا حلو حامض، ولا يراد هنا نقض الحلاوة، وكذلك تزعم أنه جمع الطّعمين، فكذلك الآية الكريمة جمعت لسيدنا إبراهيم ـ عليه السلام ـ البعولة والشيخوخة معاً ونظيره عند سيبويه[138]، قوله تعالى: ﴿كَلَّآ إِنَّهَا لَظَىٰ نَزَّاعَةً لِّلشَّوَىٰ﴾[139].

ويجوز ـ كذلك ـ أن يكون (شيخ) بالرفع خبراً بعد خبر، أو أن يكون بدلاً من (بعلي)، أو أن يكون (بعلي) بدلاً من هذا، كأنه قال: (بعلي شيخ)[140]، وجوَّزَ العكبري[141] أن يكون (بعلي) عطف بيان، و(شيخ) الخبر، أو أن يكون (بعلي) مبتدأ ثانياً، و(شيخ) خبر، أو أن يكون (هذا) مبتدأ و(بعلي) بدلاً منه، و(شيخ) الخبر.

● قوله تعالى: ﴿إِنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ ٱلْيَوْمَ فِى شُغُلٍ فَٰكِهُونَ﴾[142] وفي قراءة عبد الله: ﴿في شغل فاكهين﴾[143] بالألف، وفي كتاب المصاحف «في شغل فكهين»[144] و(فكهون) بغير ألف: وهو من قولهم: رجل فكه طيب النفس[145]، وبالألف، بمعنى: أصحاب فاكهة كلابن وتامر[146]، وتوجيه قراءة

---

(137) المقتضب 4/ 308.

(138) المحتسب 2/ 324.

(139) الكتاب، 2/ 83.

(140) سورة المعارج، الآية 15.

(141) انظر، المحتسب 2/ 324، البيان في غريب إعراب القرآن، 2/ 23، البحر المحيط، 6/ 180، الدُّر المصون 6/ 357.

(142) التبيان في إعراب القرآن، 2/ 707.

(143) سورة يس، الآية 55.

(144) معاني القرآن، 2/ 380.

(145) ص69.

(146) إعراب القراءات الشواذ، 2/ 180.

عبد الله بن مسعود (فاكهين) بالنصب على أنه حال[147] من الضمير في الجار التقدير: (هم في شغل فاكهين).

● قوله تعالى: ﴿سَلَٰمٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ﴾[148].

وفي قراءة[149] عبد الله ﴿سَلاماً قوْلاً﴾، وتوجيه قراءة عبد الله بالنصب فيه وجهان: **أحدهما**: أنه حال، قال الزمخشري: »أي له مرادهم خالصاً«[150]، **والثاني**: أنه مصدر يسلّمون سلاماً: إما من التحية، وإما من السلامة[151].

● قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْىَ قَالَ يَٰبُنَىَّ إِنِّىٓ أَرَىٰ فِى ٱلْمَنَامِ أَنِّىٓ أَذْبَحُكَ فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۚ . . .﴾[152].

وفي قراءة عبد الله[153] ﴿فانظر ماذا تُرَى﴾ بضم التاء وكسر الراء بالبناء للمفعول، وهي قراءة حمزة والكسائي[154]، ومن حيث المعنى فإن قراءة (ترَى) من الرأي، لا من رؤية العين، ولا المتعدية إلى مفعولين، وقراءة (تُرَى) هو من الرأي أيضاً؛ إلا أنه نقل بالهمزة فتعدىٰ على اثنين فـ(ماذا) أحدهما، والثاني محذوف، أي ترينيه[155]، وقيل: المفعولان محذوفان، أي: ترينيه إياه من صبرك[156].

● قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ . . .﴾[157].

---

(147) الدر المصون، 9/ 277.
(148) التبيان في إعراب القرآن، 2/ 1085، 3/ 401.
(149) سورة يس، الآية 58.
(150) معاني القرآن، 2/ 380.
(151) الكشاف، 3/ 327.
(152) الدر المصون، 9/ 280، وانظر: التبيان، 2/ 1085.
(153) سورة الصافات، الآية 103.
(154) معاني القرآن، 2/ 389.
(155) السبعة، 548.
(156) التبيان في إعراب القرآن، 2/ 1092.
(157) سورة الزمر، الآية 3.

وفي قراءة عبد الله[158]: ﴿قالوا ما نَعْبُدُهُم﴾، وأورد سيبويه[159] قراءة ابن مسعود على الحكاية؛ لأن الفعل بصيغة المتكلمين، وليس للغائب كما في أو الآية، فحمل على الحكاية، و(قالوا) في قراءة عبد الله لا تعمل فيما بعدها شيئاً، بل يبقى الكلام على ما هو عليه قبل دخولها[160]، والحكاية إذا كانت بالقول مضمراً أو ظاهراً، جاز أن يجعل الغائب كالمخاطب وأن تتركه كالغائب[161]، أما من حيث التوجيه الإعرابي فإن موضع القول المضمر، ويجوز أن يكون في موضع الحال، أي: قائلين ذلك، ويجوز أن يكون بدلاً من الصلة[162] ـ كأنه بدل اشتمال ـ فلا يكون له محل من الإعراب.

● قوله تعالى: ﴿وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن كَانُوا۟ هُمُ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[163].

وهي في قراءة[164] عبد الله: ﴿ولكن كانوا هم الظالمون﴾، برفع (الظالمون)، على أنَّ(هم) في موضع رفع بالابتداء، و(الظالمون) خبره، والجملة خبر كان، ويبدو أن توجيه قراءة ابن مسعود هذه جاءت على لغة تميم[165] وهو استعمال كثير من العرب حكاه سيبويه[166]، فهذه القراءة ـ عنده ـ كقولنا: «أظنُّ زيداً أبوه خيرٌ منك»، وكقول رؤبة: «أظنُّ زيداً هو خير منك»، ونُقل[167] عن عيسى بن عمرو أن ناساً كثيراً يقرؤونها: (. . . الظالمون) بالرفع.

وممن جعل الضمير (هم) مبتدأ، ورفع ما بعده خبراً له، ما نقله

---

(158) معاني القرآن، 2/ 414.
(159) الكتاب، 3/ 143.
(160) انظر: نحور القرّاء الكوفيين 56.
(161) معاني القرآن، 2/ 414.
(162) انظر: الكشاف، 3/ 386، والبحر المحيط، 9/ 183.
(163) سورة الزخرف، الآية 76.
(164) معاني القرآن، 3/ 37.
(165) الدر المصون، 9/ 606.
(166) الكتاب، 2/ 392.
(167) نفسه، 2/ 392، 393.

السمين[168] الحلبي عن أبي زيد أنه سمع منْ يقرأ: ﴿تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا﴾[169] (خيرٌ) بالرفع، مثله ممن احتجَّ به النحاة على جواز هذه القراءات قول قيس بن ذريح[170]:

أتُبكي على لُبْنَى وأنْتَ تَرَكْتُها وكُنتَ عليها بالمَلا أنتَ أقْدَرُ

برفع (أقدرُ) على الخبر، وجعل (أنت) فصلاً وعند الكوفيين (عماد)، وله موضع من الإعراب، وهذه المسألة موضع خلاف عرضه الأنباري[171] في كتابه الإنصاف في مسائل الخلاف.

● قال تعالى: ﴿بَلْ ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَنقَلِبَ ٱلرَّسُولُ وَٱلْمُؤْمِنُونَ إِلَىٰٓ أَهْلِيهِمْ أَبَدًا﴾[172].

وفي قراءة عبد الله: ﴿إلى أهلهم﴾ بغير ياء، قال الفراء: والأهل جمع وواحد، وهو توجيه قراءة عبد الله.

● قوله تعالى: ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ﴾[173].

وفي قراءة[174] عبد الله (ذي)، وفي توجيه قراءة عبد الله بالخفض في الإعراب، يقول الفرّاء: لأنها صفة من (ربك) تبارك وتعالى، وهي في قراءتنا ـ أي قراءة الفرّاء ـ ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام (ذو) تكون من صفة وجه ربنا تبارك وتعالى.

ومجيء ذو بالرفع هو نعت للوجه؛ لأن المعنى ويبقى وجه ربُّك ذي... بالجر من نعت ربك[175].

---

(168) الدر المصون، 9/ 606.
(169) سورة المزمل، الآية 20.
(170) انظر، الكتاب 2/ 393.
(171) انظر، المسألة (100) 2/ 706.
(172) سورة الفتح، الآية 12.
(173) سورة الرحمن، الآية 27.
(174) معاني القرآن، 3/ 175.
(175) إعراب القرآن (النحاس) 4/ 308.

● قوله تعالى: ﴿فَٱنطَلَقُواْ وَهُمۡ يَتَخَٰفَتُونَ أَن لَّا يَدۡخُلَنَّهَا ٱلۡيَوۡمَ عَلَيۡكُم مِّسۡكِينٞ﴾[176].

وفي قراءة عبد الله[177] ﴿لَّا يَدۡخُلَنَّهَا﴾ بغير (أن) وتوجيه ذلك عند الفراء، لأن التخافت قول والقول حكاية فإذا لم يظهر القول جاز (أن) وسقوطها[178]، واستدل على ذلك بقوله تعالى: ﴿يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِيٓ أَوۡلَٰدِكُمۡۖ لِلذَّكَرِ مِثۡلُ حَظِّ ٱلۡأُنثَيَيۡنِۚ﴾[179] ولم يقل أنّ للذكر، ولو كان صواباً[180]، ومن توجيه قراءة عبد الله بن مسعود باسقاط (أن)، إما على إضمار القول كما هو مذهب البصريين، وإما على إجراء (تخافتون) مُجراه، كما هو قول الكوفيين[181].

● قوله: ﴿وَقَالُواْ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمۡ وَلَا تَذَرُنَّ وَدّٗا وَلَا سُوَاعٗا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسۡرٗا﴾[182].

وفي قراءة عبد الله[183]: ﴿ولا تذرن ودًّا وسَواعاً ويغوثاً ويعوقاً ونَسْراً﴾ بالألف، وقرأهما العامة بغير تنوين. جاء في الدر المصون «فإن كانا عربيين فالمنعُ من الصّرف للعلمية والوزنَ ـ أي وزن الفعل ـ وإن كانا أعجميين فللعلمية والعُجمة»[184]، ونقل أبو حيّان[185] عن ابن عطية أن الأعمش قرأ أيضاً: (ولا يغوثا ولا يعوقا) بالصّرف، وعدّ ابن عطية قراءة الأعمش هذه وهماً، وردّ أبو حيّان بأن ذلك ليس بوهم، ولم ينفرد الأعمش بذلك؛ بل وافقه الأشهب العقيلي على ذلك وعدّ الزمخشري هذه القراءة مشكلة[186]، لأنهما إن كانا عربيين أو أعجميين ففيهما سببٌ منع الصرف.

---

(176) سورة القلم، الآيتان: 23 ـ 24.
(177) معاني القرآن، 3/ 175.
(178) نفسه، 3/ 175 ـ 176.
(179) سورة النساء، الآية 11.
(180) معاني القرآن، 3/ 176.
(181) الدر المصون، 10/ 412.
(182) سورة نوح، الآية 23.
(183) معاني القرآن، 3/ 189.
(184) الدر المصون، 10/ 474.
(185) البحر المحيط، 10/ 286.
(186) الكشاف، 4/ 164.

قال أبو حيان: وكأن الزمخشري لم يدر أن ثَمَّ لغة لبعض العرب تصرف كلَّ ما لا ينصرف عند عامتهم..[187] وتوجيه قراءة ابن مسعود والأعمش على أحد وجهين[188]: أحدهما أنه جاء على لغة من يصرف جميع ما لا ينصرف عند العرب عامة وذلك لغة، وقد حكاها الكسائي وغيره ـ أنه صُرِفَ لمناسبة ما قبله وما بعده من المنون إذ قبله (ودّاً) ولا سواعاً، وبعده (نسراً) كما قالوا في صرف ﴿سَلَٰسِلَاْ﴾[189] و﴿قَوَارِيرَاْ﴾[190] لمن صرف ذلك للمناسبة، وصرف الممنوع من الصرف لإرادة التناسب أُيدت هذه القاعدة بقراءة نافع والكسائي: ﴿سلاسلاً وأغلالاً وسعيراً﴾، كما أُيدت بقراءة الأعمش بن مهران لقوله تعالى: ﴿ولا يغوثا ويعوقاً ونسراً﴾، وهما تحتويان على سبب المنع من حيث علميتهما ووزن الفعل فيهما، وذلك لمناسبة (نسراً)، وهي كلمة منونة[191].

● قال تعالى: ﴿وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ..﴾[192].

وهي قراءة عبد الله[193]: ﴿وتَمْنن أن تستكثر..﴾، وقراءة الجمهور (تستكثرُ) برفع الراء والجملة في محل نصب حال، أي: لا تعطِ مستكثراً[194].

وعلل الفراء قراءة الرفع: على حذف (أن)[195]، ورأى أن الرفع هو وجه القراءة والعمل[196]، وأجاز الزمخشري[197] أن تحذف (أن)، ويبطل عملها،

---

(187) البحر المحيط، 10/ 287.
(188) البحر المحيط، 10/ 286.
(189) سورة الإنسان، الآية 4.
(190) سورة الإنسان، الآية 15.
(191) الأشموني، 3/ 275.
(192) سورة المدثر، الآية 6.
(193) معاني القرآن، 3/ 201.
(194) البحر المحيط، 10/ 327، وانظر: الكشاف، 4/ 18.
(195) معاني القرآن، 1/ 53.
(196) نفسه، 3/ 201، الكشاف، 4/ 181.
(197) الكشاف، 4/ 181.

وردَّه أبو حيان، لأنه لا يجوز أن يحمل القرآن على الحذف، لأنه لا يكون إلا في الشعر[198].

وذهب ابن جني[199] إلى أن (تستكثرَ) بالنصب بأن مضمرة، وذلك أن يكون بدلاً من قوله (ولا تُمنن)، وحمله على المعنى، يقول: «ألا ترى أن معناه: لا يكن منك منّ واستكثار؟ فكأنه قال: لا يكن منكَ منّ أن تستكثر، فتضمر (أن) لتكون مع الفعل المنصوب بها بدلاً من المن في المعنى الذي دلّ عليه الفعل»[200].

وقد علَّق السمين الحلبي[201] على قراءة الحسن والأعمش بمجيء (تستكثر) منصوباً على إضمار (أن) بقوله: وأبلغ من ذلك قراءة عبد الله «ولا تمنن أن تستكثر».

● قوله تعالى: ﴿وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَٰلُهَا وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا﴾[202].

وفي قراءة عبد الله[203]: ﴿ودانياً عليهم ظلالها..﴾، وقد جوَّز الفرّاء[204]، تذكير وتأنيث الدَّاني، واستدل على ذلك بقوله تعالى: ﴿خُشَّعًا أَبْصَٰرُهُمْ﴾[205] في موضع، وفي موضع ﴿خاشعةٌ أبصارهم﴾[206].

● قوله تعالى: ﴿وَٱمْرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ﴾[207].

وفي قراءة عبد الله: ﴿وامرأته حَمَّالَةً للحطب﴾[208] نكرة منصوبة على

---

(198) البحر المحيط، 10/ 327، وانظر: الدر المصون، 10/ 536.
(199) المحتسب، 2/ 337.
(200) نفسه، 2/ 337.
(201) الدر المصون، 11/ 196.
(202) سورة الإنسان، الآية 14.
(203) معاني القرآن، 3/ 216.
(204) نفسه، 3/ 216.
(205) سورة القمر، الآية 7.
(206) سورة القلم الآية 43.
(207) سورة المسد، الآية 4.
(208) معاني القرآن، 3/ 299.

وزن فاعلة، وتوجيه قراءة ابن مسعود[209]: بالتنوين وجر المفعول بلام زائدة تقوية للعامل كقوله تعالى: ﴿فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾.

وبعد، فإنه يمكن القول: بأن القرآن الكريم من أرقى الشواهد اللغوية التي بنى عليها اللغويون والنحاة أحكامهم وقواعدهم؛ لأنه نص عربيٌّ فصيح، وتعدُّ القراءات مصدراً لغوياً لنحاة الكوفة، ويمكن إرجاع ذلك إلى أسبابٍ منها[210]:

- أن الكوفة كانت مهبط الصحابة، وفيها نزل عدد كبير منهم، وهم أو أكثرهم عرب لا يتهمون في فصاحتهم..
- أن أئمة القرّاء الكوفيين: عاصم، وحمزة والكسائي، مرجعهم جماعة من صحابة النبي ﷺ، نزلوا بالكوفة، وكانوا أهل فصاحة وبلاغة، وفي مقدمتهم: علي بن أبي طالب، وعبد الله بن مسعود، وتلامذتهما، كعبد الرحمن والسُّلمي، وزر بن حُبيش، «وإن كان البصريون أصحاب فلسفة ومنطق، فإن القياس ليس غريباً عن الكوفيين كذلك، فقد كانت بها مدرسة أهل الرأي التي يتزعمها عبد الله بن مسعود رضي الله عنه»[211].
- ويعدُّ كتاب معاني القرآن للفراء[212] ـ قيمة تاريخية موضوعية؛ لأنه حفظ أول حديث مستفيض عن القراءات والاحتجاج لها، وأكثر ما يتميز به أنه كان كثيراً ما يوجه القراءة، ويخرجها تخريجاً نحوياً.

والمتتبع لقراءة عبد الله بن مسعود، وأثرها في التوجيه النحوي يلحظ ثبات مكانته في الدرس النحوي، حيث تجلت في قراءاته الأنماط النحوية المختلفة، وله رأيه الصريح والوجيه في مسائل تعددت فيها الآراء، وكثر فيها الخلاف، منها ـ على سبيل المثال ـ: إعماله (إذن) بعد الفاء أو الواو وهو محل خلاف، وله آراء في الصرف ومنعه، واستخدام كان بين الناقصة والتامة، وردت

---

(209) الدر المصون، 11/ 146.

(210) مدرسة الكوفة، 345.

(211) أبو زكريا الفرّاء، 227.

(212) نفسه، 227.

له قراءات بالنصب، إما على إضمار العامل، وإمّا على إظهاره، وكذلك تعددت الوجوه في قراءات الرفع، وغير ذلك من الوجوه الصحيحة الجائزة، وله أجوزة نحوية عديدة مبنية على السماع عن العرب، ولهجات عربية نقلت من مواطن الفصاحة، وحظيت في مجملها بالقبول والرضا، وما تطمئن إليه النفس أن قراءة عبد الله بن مسعود ـ رضي الله عنه ـ متصلة بالسند، ولم تنقطع، فهي حاضرة في سند ثلاث قراءات من السبعة، وهذا ينسجم تماماً مع القول بأن النحو العربي «هو وليد التفكير في قراءة القرآن؛ لأن العلماء لم يفكروا ابتداء في دراسة علم يبحث في علل التأليف، ولكنهم توصلوا إلى ذلك بعد أن نضجت الفكرة في أثناء قيامهم بعملهم القرآني»[213]، وهكذا نجد أثر ابن مسعود جلياً في الدرس النحوي، وكذلك أثره في مدرسة الكوفة، وكلما وجدنا قراءة لعبد الله في موطن من مواطن القرآن الكريم، وجدنا أنها تحمل اتجاهاً نحويّاً أو اتجاهاً لغوياً خاصاً ـ على سبيل المثال ـ في أصوات اللين، أو الهمز والتسهيل، أو الادغام والإظهار. . . . إلخ.

والله أعلم

المصادر والمراجع

1 ـ **القرآن الكريم** براوية، قالون/ مصحف الجماهيرية.

2 ـ **أبو زكريا الفراء ومذهبه في اللغة والنحو**، الدكتور أحمد مكي الأنصاري، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، نشر/ بيروت.

3 ـ **أبو علي الفارسي حياته ومكانته**، الدكتور عبد الفتاح شلبي، دار المطبوعات الحديثة، جدة، ط3، 1989ف.

4 ـ **إعراب القرآن**، لأبي جعفر النحاس، تحقيق الدكتور زهير غازي زاهد، عالم الكتب بيروت، ط3، 1988ف.

5 ـ **إعراب القراءات الشواذ/ لأبي البقاء العكبري**، تحقيق د، عبد الحميد السيد، المكتبة الأزهرية/ للتراث.

(213) مدرسة الكوفة، ص20.

6 ـ **الإنصاف في مسائل الخلاف** لأبي البركات الأنباري/ دار الفكر، . . .

7 ـ **البحر المحيط**، لأبي حيان الأندلسي، بعناية الشيخ عرفات حسونة، دار الفكر 1992ف.

8 ـ **البيان في غريب إعراب القرآن**، لأبي بركات الأنباري، تحقيق طه عبد الحميد طه، الهيئة العامة للكتاب، مصر/ 1980ف.

9 ـ **تاريخ القرآن** عبد الصبور شاهين، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، القاهرة 1966ف.

10 ـ **البيان في إعراب القرآن**، لأبي البقاء العكبري، تحقيق محمد علي البجاوي، دار الشام للتراث/ بيروت.

11 ـ **التوطئة**، لأبي علي الشلوبين دراسة وتحقيق/ الدكتور يوسف أحمد المطوع/ مطابع سجل العرب/ 1981م.

12 ـ **الجامع لأحكام القرآن**، للقرطبي، دار الكتاب العربي، بيروت.

13 ـ **الحجة للقراء السبعة**، لأبي علي الفارسي، تحقيق بدر الدين مهتوجي، ومشير حوجاتي، دار المأمون للتراث/ ط3، 1993ف.

14 ـ **حجة القراءات**، لأبي زرعة، تحقيق سعيد الأفغاني، منشورات جامعة قاريونس.

15 ـ **الدرّ المصون في علوم الكتاب المكنون**، لأحمد بن يوسف المعروف بالسمين الحلبي، تحقيق الدكتور أحمد محمد الخراط دار القلم، دمشق، ط1، 1986ف.

16 ـ **رصف المباني في شرح حروف المعاني**، للمالقي، تحقيق أحمد محمد الخراط، مطبوعات مجمع اللغة العربية/ دمشق.

17 ـ **سير أعلام النبلاء**/ للذهبي، مؤسسة الرسالة بيروت/ الطبعة الثانية، 1982م.

18 ـ **شرح الأشموني على الفية ابن مالك**، تحقيق الدكتور عبد الحميد السيد محمد عبد الحميد، المكتبة الأزهرية للتراث/ القاهرة.

19 ـ **طبقات القراء**.

20 ـ **غاية النهاية**، لابن الجزري، عُنِيَ بنشره/ ج برجستراسر طبعة دار الكتب العلمية/ بيروت.

21 ـ **الكتاب**، لسيون، تحقيق محمد عبد السلام هارون، 1968ف.

22 ـ **الكشاف**/ للزمخشري، طبعة دار الفكر، بيروت.

23 ـ **الكشف عن وجوه القراءات السبع**/ لمكي بن أبي طالب، تحقيق الدكتور محي الدين رمضان، دمشق 1394هـ.

24 ـ **المحتسب في شواذ القراءات**، لابن جني، تحقيق علي النجدي ناصف، وآخرون، لجنة إحياء التراث الإسلامي.

25 ـ **المصاحف**/ للسجيستاني، تحقيق الدكتور اثر جفري، المطبعة الرحمانية/ مصر، الطبعة الأولى 1355هـ.

26 ـ **معاني القرآن**/ للقراء، تحقيق أحمد يوسف بيجاني، ومحمد علي النجار. الهيئة المصرية العامة للكتاب 1972ف.

27 ـ **معاني القرآن**، للأخفش، تحقيق الدكتور فائز فارس، الطبعة الأولى، 1400هـ.

28 ـ **معاني القرآن وإعرابه للزجاج**، تحقيق الدكتور عبد الجليل شلبي، منشورات المكتبة المصرية بيروت.

29 ـ **معرفة القراء الكبار على الطبقات والإعصار**/ للذهبي/ تحقيق الدكتور بشّار معروف، وآخرون مؤسسة الرسالة بيروت، الطبعة الأولى 1984ف.

30 ـ **مغنى اللبيب**، لابن هشام، تحقيق الدكتور مازن المبارك، محمد علي أحمد، مراجعة سعيد الأفغاني، طبعة دار الفكر/ بيروت.

31 ـ **المقتضب**/ للمبرد، تحقيق الدكتور محمد عبد الخالق عظيمة، طبعة القاهرة، 1386هـ.

32 ـ **نحو القراء الكوفيين**، خديجة أحمد مفتي، المطبعة الفيصلية/ مكة، الطبعة الأولى 1985ف.

33 ـ **النشر في القراءات العشر**/ لابن الجزري، تصحيح ومراجعة علي محمد الضباع، مطبعة مصطفى محمد/ مصر.